حالة حبّ متقدّمة

بسمة البوعبيدي*

رنّ هاتفُها الجوّال داخل حقيبة يدها الملقاة على الطاولة أمامها. ارتبكتْ ونظراتُ السيّد المدير تَرْقبها.

ـ ما الذي جاء به هذا الصباح؟

الدروس تسير عاديةً، وتلامذتي يستوعبونها في يُسْر، والبريدُ لم يَحْمل اليوم منشورًا جديدًا عن وزارة التعليم، فما الداعي لهذه الزيارة؟ سمعتْ صوتَه يأتيها عبر الجهاز عذبًا حنونًا. ارتبكتْ أكثر. احمرّ وجهُها خجلاً وكأنّها ابنةُ سبعة عشر عامًا. حلّقتْ مع الصوت القادم من بعيد لحظاتٍ، انتبهتْ بعدَها إلى وجود المدير بجانبها وإلى نظرات تلاميذتها. أنهت المكالمةَ على وعد باللقاء.

ما هو باللقاء الأول. ولكنّ كلَّ لقاءٍ له مذاقُ البداية.

«رجل... كمفترق الطرق

خطر... نزق

مضنٍ ومكتظّ... مريب في الهوى

لَسِن... لبق

أو مثل مجهول الثنايا مُرْبك

بالشكِّ والأشباحِ مسكون،

ومسدود الأفق.»[1]

عادت جذلى. نشوةُ لقائه لم تغادرها. فتحتْ حقيبتَها وأخرجت المفتاح، وجعلتْ تعالج قفلَ الباب. لكنّها لاحظتْ غيابَ خنصرها من بين أصابع يدها. دقّقت النظرَ فتيقّنتْ من عدم وجوده بين أصابعها. عَدَّتْها، وكرَّرت العدَّ، والنتيجة واحدة. يئستْ. جزعتْ. حزنتْ. ذرفتْ. تساءلتْ: «أين اختفى إصبعي؟ كيف اختفى؟ أيُمْكن أن يكون قد سقط منِّي في مكانِ لقائنا؟»

عادت أدراجَها. مَشَّطت المكان. نقّبت. لا جدوى. أين إصبعي؟

استعادت تفاصيل اللقاء.

أَمْسَكَ بيدها وركضا بعيدًا. حلّقا كعصفوريْن. حدَّثها كثيرًا. نسي أرقامَ البورصة والمصاعبَ التي تمرّ بها شركتُه، وأنساها منطقَ أفلاطون وعقلانيةَ ديكارت وبيداغوجيا التعليم. غفت بين يديْه. لملمتْ أصابعُه خصلاتِ الشعر عن وجهها. رسم قبلةً حارةً على الجبين البارد. ارتعش الجسد.

ضمَّها إلى صدره ضمًا. سمعتْه يَهْمس بالكلمة العجب. تنهّدتْ وكأنّها تجيب: أيُّ سحر لهذه الكلمة؟

غنّت:

«لي مذهبٌ

في العشقِ منفردٌ... وللعشّاقِ أهواء.

فأنا الصفيةُ في الهوى

---

* ـ كاتبة تونسية.

١ ـ من قصيدة «قاموس الرجال» من **ديوان النساء** لجميلة الماجري.

خَلصَتْ

ولهم مذاهبُ في الهوى التبستْ

وتشبُّهٌ

وضلالةٌ... ورياء.»[1]

تردَّدتْ وهو يمسك يدَها المرتعشة بين يديه الحنونتين الدافئتين. أتُخبره عن ضياع إصبعها؟ ولم تخبره.

حين كانت تعالج قفلَ الباب مرةً أخرى لاحظت اختفاءَ بنصرها. دار رأسُها. وغشي بصرُها.

...

تكرّرتْ لقاءاتُهما، وتكرّر اختفاءُ أصابعها الواحد تلو الآخر: الخنصر والبنصر والوسطى والسبّابة والإبهام.

بعد كلّ لقاء تَفْقد إصبعًا من أصابع يدها اليمنى ثم اليسرى.

لم تَبُحْ له بالسرّ. وحدها تحمّلتْ جزعَ الفقد، ولهيبَ الحيرة. عند عودتها بعد لقائهما آخرَ مرة افتقدتْ أحد أصابع قدمها اليمنى، وعرفتْ أنّ دور بقية أصابع رجليها آتٍ لا محالة، فعزمتْ أمرًا: عند ذهابها للّقاءِ المقبل ستقتلع ما بقي لها من أصابع وتتركها مخبّأةً في البيت وتُحْكم إغلاقَ بابه.

...

عادت جذلى وواثقةً أنّها هذه المرة لم تَفْقد أيَّ إصبع من أصابعها. فتحت البابَ. اتّجهتْ مباشرةً إلى مخبإ أصابعها. تحسّستْها. عدّتْها. ابتهجتْ. أعادتها إلى مكانها من قدميها وهي مطمئنة.

ولكنْ حين وقع بصرُها على المرآة المعلّقة في الممرّ جمدتْ نظراتُها وهي تتأمّل مكانَ أذنها اليمنى فارغًا.

تونس

١ ـ المصدر السابق، من قصيدة «مَذْهب.»